Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

لقد استطاع بشار بما أضفى على لغته من فيض نفسه ومشاعره أن يعطينا مشهداً حيّاً ناطقاً متحركاً لمجلس الطرب والغناء ، وبشار فى ذلك إنما يصور ما فى نفسه من توق وشهوة إلى المرأة . وأؤكد ــ هنا ــ على أن شعر بشار الغزلى يقوم ــ فى أغلبه ــ على التمثيل الذى ندرك من خلاله الصوت والحركة ، وهذه الظاهرة نهضت بها لغته الغنية دون منازع ؛ فهو يقف عند الجارية فيصف روعة جمالها ورقة صوتها وخفة روحها ومدى تأثره بغنائها ، وكل ذلك فى لغة تمتزج مع روح الحياة فى العصر العباسى وتعبر عن مكنوناتها بأيسر طريق وأسهله .

وهكذا فإننا ــ فى حداثة بشار ــ نرى انطلاقة الشاعر فى رحاب الواقع دون تكلف ، ولعل بشاراً قد بلغ من الحساسية بعصره ما كشف جميع الستر عن عيوب هذا العصر بما استوحاه من محيطه وبما شخصه من واقعه ، صانعاً فى سبيل ذلك الإطار اللافت ، محدداً إياه بالأداة الطيعة الرشيقة . من هنا ، عبّر بشار فى حداثته عن روح العصر بأدوات عرفها العصر ، ويغفر الدكتور نجيب محمد البهبيتى لبشار هذا التفاوت فى شعره الذى كان النقاد يأخذونه عليه قائلاً : « إن هذا التفاوت الذى كان النقاد والمحافظون يأخذونه على بشار لم يكن عنده تفاوتاً وإنما كان يراه مذهباً سليماً أن يطرق بالشعر كل موضوع وأن ينتحى به كل منحى وأن يركب فى ذلك الطريق التى تلائم من يريده بقول الشعر »[٤٣] إيمان الشاعر ــ إذن ــ بأنه يجب أن تتاح للشاعر حرية التعبير عن نفسه وعواطفه هى التى جعلته يطرق بشعره كل موضوع وأن يتعرض بالتفصيل إلى كل ما يتصل بحواسه ، لذلك فهو لم يبال بذوق الخاصة حين خاطب جاريته بجملة أبيات كان قد أنكرها عليه الكثيرون ، وذلك فى قوله :

ربابَةُ رَبَّةُ البَيْتِ تَصُبُّ الخَلَّ بالزَّيْتِ
لها عَشْرُ دَجاجاتٍ وديكٌ حَسَنُ الصَّوْتِ[٤٤]

(٤٣) تاريخ الشعر العربى حتى آخر القرن الثالث الهجرى ٣٤٥ .
(٤٤) ديوان بشار بن برد ٤ : ٢٧ ، ٢٨ .